دور مدينة بوسطن في حرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥-١٧٨٣)

أ.عائشة إبراهيم يوسف معتكف* (ملخص ماجستير)

رسالة ماجستير للباحثة إبراهيم يوسف معتكف تقدم بها إلى قسم التاريخ – شعبة التاريخ الحديث والمعاصر في كلية الآداب بجامعة الحديدة استكمالاً لنيل درجة الماجستير.

تكتسب دراسة نشأة الولايات المتحدة الأمريكية واستقلالها السياسي أهميتها لاعتبارات استراتيجية وسياسية وعسكرية واقتصادية، أثَّرت بوضوح على تطور هذه البلاد في زمن قياسي قصير بالاستناد إلى عدة عوامل داخلية وخارجية أسهمت بدورها في التسريع بعملية بروز الولايات المتحدة الأمريكية دولة قوية ولاسيما منذ استقلالها عام ١٧٨٣، والذي وقفت وراءه عدة عوامل سياسية واقتصادية وفكرية، ووفق هذا الدور الذي أسهمت به المدن الأمريكية على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية في حرب الاستقلال، ولاسيما مدينة بوسطن التي كان لها السبق في ذلك الدور بدءًا من العام ١٧٦٥ عندما صدر قانون الدمغة حيث تزعمت المعارضة في المستعمرات، واحتلت مركز القيادة فيها، مما أدى إلى تأزم الوضع عام ١٧٧٠ عندما حصلت مذبحة بوسطن، ثم حفلة شاي بوسطن عام ١٧٧٣، والتي على إثرها تأججت المشاعر الوطنية لدى المستعمرات الأمريكية، والتي نهضت تنادي بالاستقلال، وهو ما تحقق بالفعل عام ١٧٨٣ بموجب معاهدة باريس التي صادقت عليها بريطانيا واعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية. فمن المناسب أن تتجه الدراسات الأكاديمية في اليمن نحو المناطق والقضايا التاريخية التي لم تنل اهتماماً كافياً يتناسب وقيمتها التاريخية بمنظور جديد، يؤكد على دراسة الظروف والأحوال والتجارب لتلك الدول وحجم التشابه بينها وبين الدول العربية في مأساة الانقسام والتجزئة التي ورثتها الدول العربية والأمريكية من الاستعمار الأوربي بما فيها اليمن.

وتأسيسًا على ما تقدم تم اختيار موضوع هذه الدراسة، (دور مدينة بوسطن في حرب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٥-١٧٨٣)؛ لإظهار أهمية هذه المدينة، وتحليل الأدوار التي مرت بها سياسياً واجتماعيا واقتصاديا وعسكرياً،

* قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الحديدة.

فضلاً عن الرغبة في أن تكون هذه الدراسة أرضية مناسبة لفهم الكثير من المشكلات التي تتعلق بالتاريخ الأمريكي بعيداً عن استيراد التصورات من الكتابات والدراسات الغربية. إلى جانب الاسهام في سد الفراغ الحاصل في مكتباتنا اليمنية بدراسة هذا المجال التاريخي. فضلاً عن الكشف عن الدور القيادي لمدينة بوسطن في حرب الاستقلال الأمريكية؛ كونها المدينة التي شهدت أول أحداث تلك الحرب

وتكمن أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

١- إنها الأولى التي تتناول هذا الموضوع على صعيد اليمن وعلى صعيد الجامعات العربية.
٢- إنها تكشف عن دور مدينة مهمة كان لها أثرها في حرب الاستقلال ألا وهي مدينة بوسطن التي تحتل موقعاً استراتيجياً على الساحل الشرقي للمستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية.
٣- التطورات السياسية والاقتصادية والتغيرات الاجتماعية التي شهدتها المستعمرات البريطانية بشكل عام ومدينة بوسطن بشكل خاص؛ بما كانت تمثله من نقطة انطلاق للتوسع البريطاني في القارة الأمريكية من جهة، وبما لعبته في حرب الاستقلال من جهة أخرى.
٤- أهمية تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث والمعاصر، المليء بالأحداث السياسية والعسكرية الساخنة، الذي دفع الباحثة إلى استقراء تاريخها الحديث من خلال دراسة جزئية من أحداثها السياسية والعسكرية.

اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي في كتابة الموضوع، إذ ساعد هذا المنهج على دراسة التطورات المتلاحقة في مدينة بوسطن محل الدراسة، وعن طريق هذا المنهج أمكن تقديم الأدلة التاريخية في إطارها الزمني وتتبعها التاريخي. إلى جانب المنهج التحليلي الذي ساعد على تحليل الأوضاع السياسية في إطار السياق التاريخي للأحداث.

قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، إذ كان الفصل الأول بمثابة تمهيدٍ تاريخيٍ أو أصول تاريخية تحت عنوان (المستعمرات البريطانية والفرنسية في أمريكا الشمالية قبل عام ١٧٦٣) تم تقسيمه إلى أربعة مباحث، الأول حول عملية الكشوف الجغرافية وبداية الاستيطان الأوروبي، ودرس

المبحث الثاني دوافع قيام المستعمرات البريطانية والفرنسية، وفي المبحث الثالث تم التطرق إلى كيفية قيام المستعمرات البريطانية والفرنسية في أمريكا الشمالية، وتناول المبحث الرابع الحروب البريطانية الفرنسية في قارة أمريكا الشمالية من خلال البحث في مراحل النزاع التي تميزت بأربع مراحل انتهت بفرض الهيمنة البريطانية وإبعاد الفرنسيين من قارة أمريكا الشمالية، وتأتي أهمية هذا الفصل التمهيدي بأنه يرسم صوره حقيقية للتنافس الاستعماري كي يمهد لدراسة مستقبلية لهذه المرحلة ويوضح الصورة للقارئ حول كيفية نشوء المستعمرات البريطانية والفرنسية والصعوبات التي واجهتها.

استعرض الفصل الثاني (دور مدينة بوسطن في التمهيد لحرب الاستقلال)، وهو دور كانت له مميزاته وتداعياته التي حددتها أحداث تلك المرحلة التاريخية من خلال السياسة البريطانية تجاه تلك المستعمرات، وتضمن الفصل أربعة مباحث، تناول الأول الموقع الجغرافي لمدينة بوسطن وأهميته، وتطرق المبحث الثاني لسياسة بريطانيا تجاه مستعمراتها قبل عام ١٧٦٣ ليشكل خلفية تاريخية للمبحث الثالث الذي تحدث عن المعوقات التي أفرزتها الحرب الفرنسية الهندية وأثرها على الواقع السياسي والاقتصادي في بريطانيا ثم محاولة بريطانيا في تحميل مستعمراتها الجزء الكبير من هذه المشاكل والصعوبات التي ظهرت في هذه المدة، أما المبحث الرابع فقد خصص لدراسة التدهور في العلاقة بين بريطانيا ومستعمراتها ووصولها إلى مرحلة الانفجار وتزعم مدينة بوسطن لمركز القيادة في المستعمرات.

تناول الفصل الثالث (دور مدينة بوسطن في حرب الاستقلال حتى عام ١٧٧٦) والتي يعدها عدد من المؤرخين المرحلة الأولى في حرب الاستقلال الأمريكية، حيث تم دراستها من خلال ثلاثة مباحث، تناول الأول الدور الريادي لمدينة بوسطن في المواجهة وصولاً إلى الحرب، أما الثاني فاختص بدراسة حادثة لكسنجتون وتأجيج الموقف العسكري في المستعمرات، وجاء الثالث ليتضمن التصعيد السياسي والعسكري في المستعمرات وصولاً إلى معركة بنكر هيل.

تطرق الفصل الرابع إلى (مدينة بوسطن أثناء حرب الاستقلال وحتى نهايتها) فقد اشتمل على ثلاثة مباحث، كان الأول منها للحديث عن دخول مدينة بوسطن من قبل الجيش القاري وإعلانها قاعدة عسكرية، والثاني عن تتبع الدور

السياسي والدبلوماسي للمدينة حتى نهاية العمليات العسكرية، والثالث للحديث عن دور المدينة بعد انتهاء العمليات العسكرية وحتى مفاوضات الصلح وصولاً إلى الاستقلال.

وفي ضوء ما تم عرضه في صفحات ومباحث وفصول هذه الدراسة، تم تحديد مجموعة من الاستنتاجات هي:

- إن بوسطن لم تكن مستعمرة من المستعمرات الثلاثة عشرة بل كانت كبرى مدن مستعمرة ماساتشوستس، وقد ساعدها مركزها الاستراتيجي على المحيط الأطلسي لأن تلعب دوراً أساسياً ورياديا في حرب الاستقلال.
- إن إطلالة هذه المدينة على المحيط الأطلسي جعلتها ميناءً مهماً للسفن التجارية وسفن المسافرين، وهذا ما جعلها مدينة حيوية.
- ووفقاً للموقع الاستراتيجي والحيوي فقد كانت درجة الوعي فيها متقدمة، ودرجة الشعور بوطأة السياسة البريطانية القاسية على المستعمرات شديدة، ولذلك كانت باكورة الرفض للضرائب القاسية التي فرضتها بريطانيا تبرز في هذه المدينة، ومنها انطلقت شرارة التصدي لهذه الضرائب بكل الوسائل والسبل.
- إن تمركز القناصل الأوروبيين في هذه المدينة جعلها في تماس مع الدول الأوروبية بشكل خاص وتأثرها بما كان يجري فيها من صراعات وحروب وحركة فكرية، وهذا ما أثر على البناء الفكري والسياسي لمواطنيها وجعلهم في درجة وعي متقدم قياساً لسكان المستعمرات الأخرى.
- إن كل المستعمرات كانت تنظر إلى ما كان يجري في بوسطن، وكانت تتفاعل إيجابياً مع نمو حركة الرفض والاحتجاج.
- لقد شكلت مدينة بوسطن ثقلاً تمثيلياً في المؤتمرات القارية، وكان حضورها مميزاً في أعداد الأعضاء، وفي فعالياتهم أثناء جلسات الانعقاد، وفي تنفيذ مقررات تلك المؤتمرات فحضور خمسة أعضاء في البداية ثم ثمانية أعضاء لاحقاً رقماً ليس سهلاً.
- برز في المدينة شخصيات لامعة كانت تمتلك فعالية، ولها حضور ونشاط أثناء الثورة أو بعد انتصارها، أو في سنوات ما بعد الاستقلال مثل جون آدمز وجون كوينسي آدمز وصموئيل آدمز، وصاموئيل كوبر.

- إن ميناء المدينة قد شهد أحداثاً بارزة وتاريخية، وانعكست هذه الأحداث بشكل إيجابي على المستعمرات الأخرى، وخاصة في شكل وصورة تلك الأحداث، وأبرزها "مذبحة بوسطن" و"حفلة شاي بوسطن"، كما أن هذا الميناء قد شهد توافد أعداداً كبيرة من المتطوعين الأوروبيين المساندين للثورة والمشاركين في معاركها... وفي الوقت نفسه استقبل مينائها مئات السفن التي كانت تحمل المؤن والمساعدات والأسلحة القادمة من فرنسا وغيرها من الدول.
- إن المدينة لم يقتصر دورها على الأنشطة ذات الطبيعة الاحتجاجية، وكذلك استقبال السفن بل تجاوز ذلك وجعلها رائدة المدن والمستعمرات الأخرى في الثورة فهي السباقة في الاحتفاظات والمناوشات العسكرية مع بريطانيا وتطور ذلك لتشهد أراضيها انطلاق شرارة الحرب.
- وخلال سنوات ما بعد الحرب كان زعماء هذه المدينة قيادات بارزة في العمل السياسي الذي أخذ على عاتقه صياغة الدستور، وكذلك النشاط الدبلوماسي خارج الأراضي الأمريكية.

اعتمدت الدراسة على الوثائق المنشورة والمصادر والمراجع الأجنبية والعربية، وكذلك العديد من البحوث التي أرخت لتلك المرحلة التاريخية، وكان لشبكة المعلومات الدولية اثرها في إثراء الدراسة بالوثائق والكتب الوثائقية والبحوث التي ذللت الكثير من العقبات امام الدراسة ذلك من خلال الاشتراك بالمكتبات الالكترونية الامريكية ، فضلاً عن الحصول على الكثير من المصادر المهمة التي رفدت الدراسة بمعلومات قيمة من خلال المراسلة والتواصل مع أساتذة أكفاء في الوطن العربي.

تناولت الدراسة الكثير من الكتب باللغة الإنجليزية وكانت من المصادر المهمة التي أغنت الدراسة في معلوماتها، منها ما كتب في المرحلة التاريخية نفسها وكتابها كانوا ضمن مسرح الأحداث من ضمنها كتاب تاريخ الثورة الأمريكية (The History of The American Revolution) لمؤلفه الدكتور ديفيد رامزي (David Ramsay)، وهو من ولاية كارولينا الجنوبية كتب عن مدة النزاع بين بريطانيا ومستعمراتها، ويعد للعديد من المؤرخين من أفضل الكتب الوثائقية التي تناولت الثورة الأمريكية، ظهر هذا الكتاب في عام ١٧٨٩ وهو أول كتاب في التاريخ كُتب من أحد الثوار الأمريكان، وطبع في

أمريكا، وكان مؤلفه أحد أعضاء المؤتمر القاري الأول، تناول فيه كتابة الأحداث التاريخية منذ عام ١٧٦٠ وحتى رئاسة جورج واشنطن. ومن الكتب المهمة الأخرى التي أغنت الدراسة بمعلومات أساسية وقيمة كتاب الثورة الأمريكية (American Revolution) الذي يتعدى مع ملاحقه ٦٠٠ صفحة كتبه بيرهارد نولنبيرج (Ber hard Knollenberg) وكان من أروع الكتب وأدقها علمياً حيث اعتمد بالدرجة الأساس على الوثائق التاريخية في تأليف الكتاب.

أما على مستوى المصادر العربية فيأتي في مقدمتها كتاب "تاريخ الشعب الأمريكي" لـ "فرحات زيادة وإبراهيم فريجي" الذي رفد الدراسة بمعلومات قيمة ولاسيما فيما يتعلق بالفصلين الأول والثاني. وكتاب الأستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي المعنون (مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث من الاكتشاف حتى الاستقلال)، الذي مثَّل إضافة نوعية للمكتبة العربية فيما يخص تاريخ الأمريكيتين، وأتت أهميته من خلال رفده لجميع فصول الدراسة بمعلومات مهمة افتقرت لها المصادر العربية الأخرى. فضلاً عن كتاب جمال محمود حجر الموسوم بـ "دراسات في التاريخ الأمريكي"، وقد أفاد الدراسة بمعلومات رصينة ولاسيما فيما يتعلق بالفصلين الثاني والثالث، وكتاب "المدخل في تاريخ الولايات المتحدة" لـ "محمد محمود النيرب" الذي أمد الدراسة بمعلومات رصينة وتحديدًا عن الاستكشافات الجغرافية ونشأة المستعمرات البريطانية ودوافع قيامها والحروب البريطانية الفرنسية وتعود أهميته كذلك من خلال عرضه للخطوط الرئيسة للتاريخ الأمريكي بشكل عام. أما كتاب "تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث" لـ "عبدالعزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعي" فقد مثَّل واحدًا من المصادر المهمة التي أغنت الدراسة بمعلومات رصينة ولاسيما ما يتعلق بالاستيطان الأوروبي في أمريكا الشمالية وتطور العلاقات السياسية بين سكان المستعمرات البريطانية وبريطانيا التي أفضت إلى حرب الاستقلال.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة نوقشت في كلية الآداب – جامعة الحديدة بقاعة مدرج (١)، وذلك يوم الأربعاء ٢٧ ديسمبر ٢٠١٧ وقد تشكلت لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة، الأستاذ الدكتور/ عبدالمناف شكر جاسم النداوي - جامعة الحضارة – صنعاء – مشرفاً ورئيساً، والأستاذ

الـدكتور/محمود أحمـد قاسـم الشـعبي - جامعـة صـنعاء – مناقشـاً خارجيـاً، والدكتور/ عبدالودود قاسم حسن مقشر – جامعة الحديدة – مناقشاً داخلياً، وقد أجيزت الرسالة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى.